(المحاضرة الثالثة)

تطور الخبر الصحفي

تطور الخبر الصحفي :

بدأ الخبر مع وجود الإنسان , وتطور مع تطور حياته , وعندما أصبح الإنسان عضوا في جماعة بدأ يستقبل الأنباء وينقلها من وغلى فرد اخر , فالخبر غير مرتبط بنشأة الصحافة كما تشير بعض التعريفات التي وضعت له , وإنما هو مرتبط بالصفات والحاجات النفسية والاجتماعية للإنسان , إلا أنه يمكن تحديد ثلاث مراحل لتطور الخبر , وهي :

1- مرحلة الخبر المسموع :

تعود بدايات الخبر المسموع إلى العصور القديمة حينما استخدم الانسان الأبواق أو الصيحات والصرخات للإعلان عن حالات معينة تعارف عليها أبناء المجتمع , كالحروب أو الأعياد والمناسبات الاجتماعية , كما عرفت العصور القديمة , وجانب من العصور الوسطى المنادين الذين كانوا يجوبون الأسواق , وأماكن التجمعات البشرية الأخرى ليبلغوا الرعية أو المواطنين أوامر الحكومة وبياناتها .

2- مرحلة الخبر المخطوط :

بعد ظهور الكتابة و انتشار القراءة لدى الحضارات السابقة ظهرت مرحلة الخبر المخطوط المدون في الصحائف و الجلود وألواح الحجارة وأوراق البردي, ففي العراق وجد علماء الاثار نشرات ترجع الى سنة 1800ق.م , ترشد الزراع إلى كيفية بذر محاصيلهم , وعلاجها من الآفات , وتشبه هذه النشرات إلى حد

كبير النشرات التي توجهها وزارة الزراعة إلى المزارعين في الدول المتقدمة في وقتتنا الحاضر.

وأصدر الصينيون صحيفة في بكين اسمها جريدة (باكين) في عام 911 ق.م لتنشر الأوامر الرسمية وأخبار دوائر الحكومة , كما عرفت روما في مرحلة متقدمة من عصر الامبراطورية خطابات الاخبار letter news وهناك من الاثار التاريخية ما يؤكد ان يوليوس قيصر قد أصدر عقب توليه السلطة عام 59 ق.م صحيفة مخطوطة اسمها الأحداث اليومية (Dinrnaacta), وكانت تهتم بنشر الاخبار عن مداولات مجلس الشيوخ, وأخبار الحملات الحربية, وبعض الأخبار الاجتماعية الأخرى .

واستمرت هذه النشرة في الصدور إلى زمن الامبراطور يوليان في أواسط القرن الرابع الميلادي , فكانت مثالاً للجرائد التي صدرت بعد ذلك في أوربا, التي عرفت في العصور الوسطى الدوريات البابوية حيث كان البابا يجمع كل أحداث العام و يسجلها على سبورة بيضاء ويعرضها في داره , إذ يحضر المواطنون للإحاطة بما فيها. وعندما انتشر النفوذ البابوي أصبح القول الشفوي و السبورة غير كافيين, فنشأت النشرة العامة , وهي لون من الاوراق التي يمكن أن نعدها أصل الجريدة الرسمية الحالية.

واستمر استخدام خطابات الاخبار طوال العصور الوسطى, وذلك لخدمة التجارة بين المدن الاوربية المختلفة, وأصبحت مدينة فيينا مركزاً لهذه الخطابات, وأصبح هناك كتاب مهنتهم كتابة خطابات الاخبار في جميع المدن الكبرى, وكانوا يسمون (News writers)

وكان التجار في ذلك الوقت , ولاسيما في مدينة البندقية الايطالية , بمنزلة المحررين للأخبار بعد ان يجمعوها من أكثر بلاد البحر المتوسط , ومضت البندقية على هذا النظام حتى شهدت جنون الاخبار على طريقة (الجازتات) , وقد سميت تلك النشرات الاخبارية بهذا الاسم لأنها تباع في البندقية بقطعة نقود معدنية تسمى الجازيت .

ويلاحظ ان التجارة أسهمت بشكل كبير في تطور الخبر المخطوط , وانها تبنت نشرات إخبارية ليعرف التجار من خلالها ما يجري في محيطهم وما جاوره

من أحداث ويتخذ بشأنها الإجراءات الكفيلة لحماية مصالحهم , قبل ان يتوجهوا الى إغناء المعرفة لدى القراء واطلاعهم على الوقائع الجارية .

لقد عرف العرب قبل الاسلام أنماطاً إعلامية عدة , كالأسواق والرحلات التجارية ورواة القصص , والانساب , والخطابة , ومجالس القبائل , وقد أدت هذه الأنماط دوراً مهماً في عملية الوجود الإخباري , أفادت منه هذه الأنماط نفسها , كما عاد ذلك على مجتمع الجزيرة العربية ببعض الفوائد .

ولم تكن الدولة الاسلامية عندما قامت في المدينة المنورة في أوائل القرن السابع الميلادي ببعيدة عن استخدام الأخبار المخطوطة , فقد استخدم الرسول الكريم محمد (ص) الكتابة الخطية , وما الدستور الذي وضعه بعد هجرته إلى المدينة , و المعروف تاريخياً بأسم الصحيفة , بالإضافة الى رسائله الشريفة إلى ملوك وأمراء عصره إلا نماذج تاريخية لذلك الاستخدام .

وقد استمر استخدام الخبر المخطوط فترة طويلة حتى بعد ظهور الخبر المطبوع و انتشار المطبعة , إذ أن تأسيس المطابع وانتشارها إحتاج إلى وقت طويل , بل وصاحب ظهورها إحتكار بعض الحكومات للمطابع , لذلك حافظ كتاب الأخبار المنسوخة و جامعوها على مصادر أخبارهم وعلى عملائهم وقتاً طويلاً .

ولم يستطع الخبر المخطوط الصمود طويلاً أمام تدفق الخبر المطبوع , وذلك لرخص ثمن الأخير , وسعة إنتشاره , وإنتظام صدوره , لا سيما بعد إنشاء مكاتب البريد في القرن الخامس عشر .

وبدأت حينذاك مرحلة النهاية للخبر المخطوط , وأخذ استخدامه يتراجع يوماً أثر آخر , حتى انعدام استخدامه , وهيمنت الأخبار المطبوعة على الصحف و المجلات و النشرات .

3- مرحلة الخبر المطبوع :

يرتبط تاريخ الخبر المطبوع ارتباطاً وثيقاً بظهور المطبعة , ذلك الاختراع الذي شكل نقلة هائلة ليس في ميدان الصحافة والإعلام فحسب , بل في جميع

ميادين الحياة , ويعد أحد الانجازات الحضارية للبشرية , وإحدى الوسائل التي أسهمت في رقي البشرية و تطورها, ومهدت للإنجازات الفكرية والعلمية , والتقنية , التي نراها ماثلة للعيان في عصرنا الحالي .

وقد ظهرت المطبعة على يد الألماني يوحنا غوتنبرغ عام 1436 , وتقدمت خلال القرن الخامس عشر , ومن ثم بدأ عصر جديد خرج به الإعلام من عصر الفوضى , ومن السرية , وبلغ مرحلة الصناعة , أو الحرفة , أو الفنية .

وكان لهذا الإختراع الجديد تأثيراته على الاتجاهات الفكرية الأوربية عامة , كما ساهم إختراع المطبعة بدور كبير في إنتقال الفكر الأوربي من مرحلة إلى مرحلة , ما عكست اثاره على المضمون الصحفي الاخباري ويضاف الى ذلك ايضاً تلك المنافسة التي بدأت بين الصحف المخطوطة و المطبوعة , و التي أدت إلى المزيد من الاهتمام بالمادة الاخبارية كرد فعل لحالة الخوف من هذا الاختراع الجديد .

وبدأ ظهور الخبر المطبوع عندما قامت بعض دور النشر بإصدار نشرات مطبوعة بأرقام متسلسلة ثم ظهرت بعد ذلك نشرات إخبارية مطبوعة على شكل اجندات سنوية منتظمة الصدور متضمنة بعض المعلومات الفلكية , وقد استمر صدور هذه النشرات في الفترة التي تبدأ من عام 1448 حتى عام 1470 ميلادي , وبعد ذلك ظهرت نشرات نصف سنوية في فرانكفورت عام 1588 , وفي عام 1597 طلب الامبراطور الالماني رودلف الثاني من بعض أصحاب المطابع إصدار نشرات شهرية تتضمن أهم الحوداث التي وقعت خلال الشهر .

وفي بداية القرن السابع عشر ولدت فكرة جمع الاخبار , ومن ذلك الوقت قام أصحاب المطابع بطبع النشرات الاخبارية , وظهرت أول صحيفة مطبوعة في بلجيكا .

وشهدت فترة أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر تطوراً مهماً في ميدان الخبر المطبوع عندما أصدر البرلمان الانكليزي قانون الحقوق ((Bill of right عام 1689, الذي تأكدت بموجبه الحقوق و الحريات ومنها حرية الصحافة .

وتزامن ذلك الحدث مع ظهور الصحف في فرنسا و الولايات المتحدة وغيرهما من الدول , بعد صراع عنيف , وجدال محتدم حول الرقابة والحرية على وسائل الإعلام بين السلطات السياسية و ملاك الصحف أو القائمين عليها .

أما العالم العربي فقد عرف الخبر الصحفي المطبوع في زمن الحملة الفرنسية على مصر (1798-1801) فقد قدم الفرنسيون إلى مصر ومعهم مطبعة أصدروا بها عدة منشورات إخبارية ثم أصدروا بعد ذلك أول صحيفتين في العالم العربي باللغة الفرنسية هما (بريد مصر , زمن مصر) . وكانت الأولى تهتم بالأخبار العامة , و التقارير الإخبارية . والثانية كانت تبدي إهتماماً واضحاً بالخبر المتخصص , ومجال تخصصه هنا هو نفس المجال , أو المجالات التي كانت تتجه اليها مجهودات علماء الحملة في دراسة المدن و القرى و العادات و التقاليد و النيل و الواحات , والصحاري .

وظهر الخبر الصحفي المطبوع بالعربية مع ظهور أول صحيفة مصرية وهي صحيفة (الوقائع المصرية) التي أنشاها محمد علي عام 1828.

وقد بدأت الوقائع المصرية كصحيفة إخبارية صرفة , فهي تنشر أخبار الدولة و تعليماتها للجمهور , ثم ظهرت الصحف في عدد من الدول العربية وهي كل من العراق و الجزائر و سوريا و لبنان .

وقد استمر الخبر الصحفي المطبوع متربعاً على عرش وسائل الإعلام حتى ظهرت الاذاعة والتلفزيون , وبدأ ظهور نوعين جديدين من الأخبار هما الخبر الإذاعي و الخبر التلفزيوني اللذان اعتمدا إعتمادا أساسياً على المراحل المتطورة التي وصل إليها الخبر الصحفي من حيث تحريره , وعناصره , ومعاييره .

ثم ظهرت وسائل الإعلام الحديثة , و من أهم هذه الوسائل الحديثة الرسائل النصية القصيرة التي تستخدم عبر الهواتف المحمولة , والانترنت , ووسائل الاعلام الجديد .

وهناك أربعة عوامل رئيسة وراء ظهور الخبر المطبوع وانتشاره في العصر الحديث , وهي :

أولا- إكتشاف المطبعة في منتصف القرن الخامس عشر على يد يوحنا غوتنبرغ, ومايعنيه ذلك الإكتشاف من إمكانية طباعة عدد كبر من النسخ للعدد الواحد , وأثر ذلك على وصول الصحيفة إلى أكبر عدد من القراء , بالاضافة الى ما توفره الطباعة من جهد ووقت وتكاليف إذا ما قورن ذلك بما تحتاجه المخطوطات من جهد ووقت وتكاليف .

ثانيا- ظهور الطبقة البرجوازية في أوربا الغربية , حيث ارتبط نمو هذه الطبقة ببداية عصر الاكتشافات الجغرافية والاستعمار وبداية الثورة الصناعية وما أعقبها من نشاط مالي وتجاري كبير , فظهرت الحاجة الى وجود صحف تعكس هذا التطور الجديد في الحياة الأوربية وتلبي احتياجاته في سرعة تبادل المعلومات والأخبار خاصة عن أحوال الأسواق التجارية والبنوك والبورصة والاعلان عن السلع المختلفة .

ثالثا- ظهور الفكر الليبرالي وهو التعبير الايديولوجي عن الطبقة البرجوازية , وما يعنيه هذا الفكر من إشاعة للحياة الديمقراطية ممثلة بنظام نيابي ونشاط حزبي وصحافة حرة , بالاضافة الى حرية الفكر والقول والتعبير والاجتماع والنشاط الاقتصادي . لذلك فان سيادة هذه الفلسفة أنتج الصحافة لتكون أداتها في تغيير المجتمع الأوربي من النظام الاقطاعي القديم الى النظام الرأسمالي .

رابعا- إنشاء الخدمات البريدية في نهاية القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر , كان من الأسباب المهمة التي مهدت لظهور الصحافة في العديد من البلدان , اذ حقق وجود الخدمات البريدية سرعة وتنظيم وصول الصحف الى المشتركين فيها, إضافة الى تنظيم سرعة وصول الأخبار من مختلف أنحاء العالم الى مقر الصحيفة , فضلا عن خلق اهتمام مشترك بالكثير من القضايا والاخبار والاحداث ليس داخل البلد الذي تصدر به الصحيفة , وانما على مستوى العالم كله .